مفكرة

لنحارب ظاهرة التساقط .. هذه الظاهرة الجرثومية ..

الانسان هذا الكائن الجميل .. المفكر .. مجد الارض .. وكبريائها الخالد .. بهوفن وموزارت .. فان كوخ .. ابلوار .. بيكاسو .. دافنشي .. ماركس .. لينين .. غوركي .. جيفارا .. هذه القوة المحركة للعالم .. والتاريخ .. الانسان .. هذا ارقى ما توصلت اليه حركة التطور العضوي على سطح هذا الكوكب .. وربما في كواكب هذا الكون بأسره .. هذا الخالق والمبدع العملاق .. رائد الفضاء .. ومحطم العبودية انسان كومونة باريس .. وايام اوكتوبر العشرة .. انسان ستالينغراد .. والمسيرة الكبرى .. وديان بيان فو .. هذا الحافي القدمين .. ينمو مثل الاعشاب البرية تحت وهج الشمس والعطش .. وعلى شواطىء عدن .. يؤسس اول جمهورية دمقراطية في الجزيرة العربية .. والشرق الاوسط .. ينفض عن جلده غبار الذل والقهر ويشعل حريق الثورة المستمرة .. في لاوس .. وكمبوديا .. وسيلان وفيتنام .. والاورغواي .. ويزرع الهلع في قلوب حراس مصالح الامبريالية والاستعمار الجديد .. يتسربل ليالي الاستانة .. وطهران .. ويتسلق عمارات طوكيو .. ويحصد قصب السكر في كوبا .. ويحزن .. يحزن .. لان المحصول نقص قليلا عن المقدار المطلوب ..

الانسان .. الانسان .. هذه الاغنية المتوهجة اللحن .. على شفاه نوارس البحر .. وعصافير المدن المهاجرة .. تحمل شوقه واحلامه .. قطارات السهوب الثلجية .. وسفن البحار النائية .. وتنمو على شواطىء الغولغا اولى ملاحمه الكبرى ...

هم فقط اولئك الموبوؤون .. القذرون .. من يسمون .. هذا الانسان .. قذارة .. ويصمون حياته بالتفاهة .. واللاجدوى .. اولئك الذين .. لا يفقهون معنى الانسانية .. الانسانية .. تلك سعادة .. وحرية .. ومحبة .. وسلام .. وتصفية كل اشكال الاستغلال والعبودية والقهر والطريق الى ذلك .. ليس طوباويا ولا ميتافيزيقيا .. ولا طريق كاوتسكي .. وبليخانوف .. ولا طريق ميللران .. الطريق هو اوكتوبر .. والمسيرة الكبرى .. والتوبوماروس .. ومن اجل ان تتحقق احلام البشرية جمعاء .. لا بد من ثمن .. ولقد قدمت حركة النضال الثوري الانساني عبر مراحل تطورها واستمرارها الكثير من المناضلين الاشداء .. والثوريين الشجعان .. قرابين خالدة على مذبح الحرية ..

ان ثمة ظواهر مرضية عديدة .. تتخلل مسيرة النضال الانساني .. اليأس .. والقلق .. والخوف .. والاستسلام .. فكلما اشتد الصراع ضراوة بين معسكر الانسانية الثورية .. ومعسكر القوى المستغلة اللاانسانية .. او في اثناء تعرض المسيرة الثورية للانحسارات والتصدعات او لفشل وقتي بسبب اخطاء عملية .. تتشجع تلك الظواهر المرضية المؤذية .. وهي دائما ما تصيب الاشخاص الذين هم بمثابة التربة الخصبة لنمو تلك الظواهر .. ثوريو البرجوازية الصغيرة ..

حينما تفقد عاشقة حبيبها .. تلجأ الى القضاء على حياتها .. الى انهاء حالة وعيها .. ان استمرار وعيها .. يعني استمرار الحزن والالم والدموع والوحدة .. وربما تعرضها حالتها النفسية تلك .. الى ارتجاج ذهني .. الى جنون فتقرر الانتحار ، (هروبا) من كل ذلك .. وموقف الانتحار طبعا هو وليد لحظة نازمية حادة يغيب فيها الشعور الكلي بالمستقبل والماضي وتتجسد لحظة الحاضر القاسية ..

ونابليون هذا الفاتح الشرير .. حينما احس بمرارة الهزيمة فرد الانتحار .. وكثيرون من الذين واجهوا الفشل بارادة ضعيفة وبأنانية مفرطة .. سلكوا هذا الطريق الجبان .

ولكي لا يكون الانسان مثاليا .. ويقفز من فوق الواقع الذي يعيشه .. لا بد لنا ان نقول .. ان جرثومة الانتحار تنمو في مستنقعات الهزائم والانكسارات وتتغذى من مرارات الواقع وسلبياته .

ان كولن ولسن .. يركب حصانه الطائر .. ويتجول بين معسكراتنا ومخيماتنا .. مدننا وقرانا .. المهزومة .. المنعبة .. المحاطة بالاعداء من كل جانب .. حين تظهر مؤلفات هذا الرجل .. يتلقفها مترجمونا .. ولكن قولوا لي بالله عليكم .. باصنامكم التي تعبدونها هل ظهر مؤلف .. او ترجمة .. في عالمنا العربي لدراسة هذا الكولن ولسن وسواه .. ومنافشته ورده ..؟ ليتوفر بين يدي قارئنا العربي (المطعون في قلبه .. المهزوم باستمرار .. المعذب باستمرار .. المشرد .. المجوع .. المضطهد .. المعتقل المسلوخ جلده في التعذيب) ليتوفر بوجه اقراص كولن ولسن المنومة المضيعة .. موقف ثوري انساني .. يؤمن بقدسية الانسان .. وقدسية الحياة .. والنضال في سبيل مستقبل مشرق جديد . ومن خلال مناقشة فلسفة ولسن .. ومن لف لفه .. ذاتها .. نماذجه ذاتها .. امثلته ذاتها .. ودحضها بشواهد الواقع .. وعلى انها نماذج برجوازية صغيرة .. نماذج مهزومة .. نماذج هوامشية على مسيرة الانسانية جمعاء ..

لكي لا يكون الانسان مثاليا .. لا يستبعد ان يلجأ بعض الناس الى الانتحار .. احدهم ينتحر ولكن ليس جسديا .. فيلقي بنفسه في منفى بعيد .. عن المعتقل الذي خرج منه منكس الراية .. واحدهم ينتحر .. فيرتاد ساحات سباق الخيل ويصير مراهنا اصيلا .. وآخر ينتحر بتعاطي المورفين .. وآخر ينتحر على اجساد نساء الليل الرخيصات .. المبذولات المتعبات .. الحزينات .. وآخر يمارس هواية السكر .. ليل نهار .. في بارات الطرق المشبوهة .. وآخر ينتحر بممارسة قراءة الروايات البوليسية .. ومشاهدة افلام ماجستي .. وطرزان .. وآخر يصير محررا في مجلة او صحيفة تخدم اغراض العدو الطبقي الفاشي .. وآخر ينتحر برصاصة !.

وكلها اوجه متعددة لانتحار واحد .. الهروب من عالم الوعي .. من المشاركة في النضال الصعب الطويل.. لتغيير واقع النكسة والهزيمة .. الى واقع هجوم فعال .. ومؤثر الى نصر .

حين يجد الانسان الثوري نفسه قد وقع في خطأ ما .. فانه على عكس غيره .. من الرجعيين والبرجوازيين .. يصحح خطاه بجرأة وشجاعة ..

الانتحار .. هو تجسيد لليأس والهزيمة .. صحيح ان حركتنا الثورية العربية الان محشورة على بعد خطوات من النافذة .. ولكن لكي تبرر انها حركة ثورية فعلا .. عليها ان تواجه العاصفة بشجاعة .. ان ترتدها على اعقابها .. والانتحار هو ان تقفز من النافذة الى الهوات السحيقة .. اي ان تتراجع الى الوراء .. تفقد صفتها الثورية .. وبعد ايلول ١٩٧٠ فجأة فهم بعض (المنظرين) العرب قضية الجبهة العربية المعادية للحلول السلمية على انها لمحة ونجميع (جبهة عريضة) ولكن ابن القيم الموضوعي الثوري وابن الفهم العميق لمخططات الاستعمار الجديد (مخططاته المعارضة ايضا للحلول السلمية المطروحة الان .. ومن اجل حلول اكثر جذرية وفاعلية في تصفية الحركة الثورية العربية والفلسطينية .. « الابتلاع والافراغ من المضمون الثوري ») .

ان ظاهرة الانتحار الجسدي او المعنوي لم تتم .. ولم نلمس اسان فترة المد الجماهيري (العفوي) للمقاومة الفلسطينية ولا ابان التصاعد الثوري بعد هزيمةحزيران وتبلور نهج ثوري عمالي لطليعة الحركة الشعبية في قطر عربي معين .. ولكنها برزت انكاسة المقاومة في ايلول ١٩٧٠ وبعد انتكاسة الحركة الثورية في ذلك القطر .

ويلاحظ ايضا ان اسرع وامهر من رفع الراية البيضاء امام الهزيمة والهلع واليأس هم صغار البرجوازيين .

مما لا شك فيه ان الحركة الثورية العربية والفلسطينية بشكل خاص تعاني من جملة ثغرات واخطاء مؤذية.. التشتت والتشرذم .. وعدم وضوح الرؤية الايديولوجية والسياسية الصائبة .

وقد لاحظنا باعيننا كيف ان المقاومة الفلسطينية خرجت من ٢/١٠ ومن ٦/٧ عام ١٩٧٠ وكانها ما تزال بحاجة الى دليل اخر او ادلةاخرى لتاكد من ان نظامحسين عدوها الموضوعي وهو عازم على تصفيتها.. وفي ٦/٧ حيث كان الظرف السياسي والجماهيري والعسكري للمقاومة مؤاتيا كلبا للاجهاز على النظام.. كانت المقاومة غارقة في ضغوطها التكتيكية .. ومفاوضاتها اللامجدية .. وخرجت المقاومة بعد ذلك من ايلول وهمها الوحيد .. هو ان تنقذ الانظمة التي ففضحتها وكشفت زيف شعاراتها ونفاقها تجربة الصراع الدامي مع نظام حسين ، تنقذها من مازق عزلتها الرهيبة .. كانت الهزيمة عسكريةوحسب!! وبعد كل هذا .. كل تلك الدماء .. والخسارات .. والتجارب المريرة .. والشواهد القاطعة وافقوا علىسحباسلحة الميليشيا.. و (تسليمها) لسلطة عمان.. وثم على انسحاب المقاتلين الى الاحراش.. وتسفير ارتال الكوادر التنظيمية الى خارج الاردن .. وثم جاءت مفاوضات جده .. هل كل هذا هو فقط مجرد تعبير عنفناعات وافكار بمينية .. ام هنالك شيء اخر ؟

المهم هنا.. ليس تقييم سياساتواخطاء قيادة حركة المقاومة ولكن انعكاساتوماثرات تلك السياسات والاخطاء والانكاسات على الوضع النفسي لمناضلي المقاومة والجماهير.

وحين ندين ظاهرة الانتحار الانهياري كموقف تخاذلي جبان .. يجب ان لا نغض الطرف عن الاسباب والدوافع الموضوعية لتلك الظاهرة المشؤومة بعد هزيمة ايلول ١٩٧٠. « تساقط !! » كثير من مناضلي المقاومة .. سافروا الى المانيا الغربية والدانمارك والكويت .. الخ... واخرون عادوا الى جامعاتهم ووظائفهم .. لماذا !؟.. هل كل هؤلاء تساقطوا .. هكذا بجرة قلم .. كما يحلو لبعض المتشدقين.. ان يرددوا ذلك ؟

صحيح ان كل من يتخلى عن ميدان النضال الثوري وعن حركة المقاومة الفلسطينية باعتبارها تجربة مطروحة نحو التطور الى حركة ثورية جماهيرية مهما كانتالدوافع والاسباب هو مخطىء ومنهزم من المعركة .

ولكن ضمن من (تساقطوا ؟) هنالكالذين هجروا العمل الثوري لمبررات حقيقية .. حقيقية فقط لانها يجب ان تدفعهم اكثر الى النضال والى التطوير والبناء الثوري الحقيقي .. ولكنها قط لا تبيح لهم هجره ميدان النضال.. والعودة الى ايامالوظيفه والجامعه .

انهم بذلك يخطون الخطوة الاولى نحو الانتحار .. والخطوه الاخرى هي (شرشحه) المقاومة .. اخطاؤها .. سلبياتها .. (فشلها) .. الخ.. ولكن اذا كنتم ايها الثوريون المقاعدون تمنعون بكل هذه القدرة على التحليل والنقد والاكتشاف السليم .. فلماذا تسكعون على الارصفة .. وتتركون جماهير شعبكم ؟

لا يحق لكم ابدا .. ان تتنقدوا المقاومة من على مقاعد الارصفة .. ان كان نقدكم هذا .. يدافع المسؤولية الوطنية والثورية .. فليكن النضال من اجل اصالة ثورية للمقاومة.. ومن اجل سياسات وممارسات ثورية ومن اجل لفظ واسقاط كل المقنعين ببرافع الثورة .. اسقاطهم الى مزبلة التاريخ .

ان الخروج من ازمة المقاومه الراهنة لا يمكن تصوره بقرار ياتي من القوة السماوية ولا من خلال اقتراح برد علىهذه الورقة .. ولكن النضال من اجل بلورة الاتجاه والالتزام الثوري للمقاومة والذي لا يمكن الان بمر على جثةالعقلية اليمينية البرجوازية لقيادة المقاومة ، هو وحده القادر على طرح ذلك التصور .

ولسنا هنا بصدد تقديم برنامج الاتجاه الثوري للمقاومة بقدر ما بهم الان التاكيد على ضرورة مكافحة النزعة الانهيارية الانتحارية الهروبية الذليلة وتعريتها .. وفضحها ودحضها باقصى قوة ، وهذا واجب الثوريين الطليعيين بالدرجةالاولى.. الذين تهمهم استمرارية الثورة وانتصارها اكثر من غيرهم بكثير على الاطلاق .

ان هذه الظاهرة الجرثومية مصدر خطر وشؤم على النضال الثوري وهي كما تقدم نتيجة موضوعية لظروف الهزيمة والانكاسة والانحسار الذي تعيشه الثورة . والبرجوازيون الصغار اسرع من برفعوارايتها ابدا . والقضاء بشكل قاطع عليها مرتبط بالتطور النوعي لاوضاع المقاومة .. الوحدة الجبهوية المتماسكة الواضحة الشعارات والاهداف باتجاه ثوري ، وبتخطي ازمة الثورة الراهنة والخروج من مازق المراوحة والتفتت الحالي .

ان ترك الحبل على الغارب لانتشار هذه الجرثومة هو جريمة لا تغتفر خشية ان تحولالى خط عام .. ان معسكر الاعداء هو المستفيد الوحيد من انتشار هذه الظاهرة .. وهو الذي يسعى لتغذيتها وفلسفتها بواسطة (كولن ولفه) وغيره من ابواق التضييع وتحطيم الثقة الانسانية..

يا غزة : لك القول الفاصل بحق هؤلاء المنهزمين ، ايتها المراس الشجاع للثورة الفلسطينية ، انت ايتها الشعلة المتوهجة في ليلنا العربي ، لن ينتحر فيك غير الاعداء ..

وايا ابطالنا المعالقة في عملية اللد : لكم القول الفصل بحق المسافطين الهاربين ، الذين يرمون اعمارهم الى خارج التاريخ، انتم ، ايها البعث الشجاع، يا ملح الارض ولهب المعركة وقلب الصدام ..